



السعادة

وإن غفّت راحت الكائنات في سُباتٍ عميق.. يكاد
جمالها يحجب أشعة الشمس، وضوء القمر!
بمجرد أن رآها الفتى؛ اهتز كيانه، وسقطت
التفاحة من فمه!
فضحكت من حاله بصوتٍ مفعمٍ بالبهجة
والسرور.. فسقط مغشياً عليه!
في الصباح الباكر؛ رآته بين الحياة والموت..
اقتربت منه أكثر، وتبسمت في وجهه، وقالت: هل
يمكن لمثلك أن يقبل الزواج مني؟!
فعدت إليه الروح، وصاح في وجهها: لماذا تهزئين
بإنسانٍ فقيرٍ معدٍم؟

فقالت بشفقة مفرطة: حاشا لله؛
كيف أهرأ بشابٍ متدينٍ مثلك؟
فزجرها قائلاً: لقد كدت تُجهزين
عليّ بسهامك الفتاكة، وصوتك الآسر!
فأجهشت بالبكاء، وقالت: بل أنت
الذي أفقدتني صوابي، وسرقت قلبي،
مصر - محمد عبدالشافي القوسي - ولن أدعك



لم يجد ما يفطر به؛ فحمد الله على الصوم،
وقال: ما أشبه الليلة بالبارحة!
واصل مسيرته المعتادة بين الحقول والبساتين
المترامية الأطراف.. فرأى على جانب الطريق
تفاحة صفراء فاقعة اللون، فالتقطها فرحاً
مسروراً.. بيد أنه تردد في أكلها؛ خشية أن يظهر لها
صاحب!
لكن شدة الجوع؛ لم تجعله ينتظر طويلاً، فرفعها
إلى فمه؛ مصحوبةً باستغفارٍ تلو استغفار!
في تلك اللحظة؛ مرت فتاة جميلة، جميلة بكلِّ

تأكيد، فلا شبيه لها في بنات حواء
كافة.. صاحبة قدٍّ جميل، منمّقة بعناية
عليها في مشيتها، ومنسّقة بالعناية ذاتها
في وقتها، يعلوها رونقٌ في جلستها. من
عينها يصدر بريقٌ كبريق الجواهر،
وتغرّها ناطق بآيات جمالٍ لا يستطيع
له أحدٌ وصفاً. إذا علت البسمة شفيتها
سرى السرور في أرجاء الأرض،

تميش لحظة واحدة ما لم تذهب إلى والدي، وتطلبني منه!

فتنهض بصعوبة، ونفض عن كاهله التراب، وسألها مندهشاً: كيف يمكن لوالدك أن يقبل من لا يملك كسرة عيش؟

ربت على كتفه، وقالت بصوت متهدج: بل هو يبحث عن شاب صالح زاهد مثلك.

قبل الظهيرة؛ زار والدها؛ ولم يكن معه سوى مسبحة الطويلة، ذات الألوان الفاقعة.. فسحبها من يده، وقال: يبدو أننا لن نتفق يا فتى؛ مادام قلبك متعلقاً بهذه المسبحة المزركشة!

بعد قليل؛ نظر إليه، فرآه يمسك لحيته، فقال: كيف أزوج ابنتي لمن تشغله لحيته إلى هذا الحد، وتذهب عمره سدى؟

خرج بهدوء، لكنه عاد قبل الغروب، وقد حلق لحيته، وغير ملامحه.. فلما رآه، هز رأسه، وقال: يبدو أنك بحاجة إلى عمر إضافي يا مسكين؛ كي تتوَّض به أوقات الحلاقة الضائعة!

خرج الفتى غاضباً، فرأى الفتاة تسترق السمع من خلف الباب.. فقال لها: يبدو أن أباك لا يرغب أن يزوجك لأحد أبداً!

قاطعت على الفور؛ لا؛ بل أتمنى أن يكون لديه عشرة أبناء مثلك.

فكر وفكر، واستخار، واستشار.. ثم ذهب إليه في المسجد؛ فرآه واقفاً بقامته المديدة كأنه الخضر عليه السلام، فصافحه الشيخ بحرارة، وأجلسه بجواره على يمين المنبر.. ثم تأمل في وجه الفتى المصفر، وثيابه الرثة، وسأله: كيف حالك مع الصيام في هذا الصيف الطويل؟

فقال: أصوم يوماً، وأفطر يوماً.

فدندن، ثم قال: جاءني قبلك من يصوم يومين ويفطر يوماً. ومع ذلك طردته!

سكت قليلاً، ثم سأله: ما شأنك بالليل يا فتى؟ فقال: أقوم نصف الليل.

فهز رأسه، وقال: جاءني قبلك من يقوم ثلثي الليل، ومع ذلك رفضته!

بعد صمت طويل؛ سأله: كيف تتعامل مع القرآن؟ قال: لي ختمة كل يومين.

فغابته غاضباً؛ ولماذا لا تختمه كل يوم.. وأنت في ريعان الشباب؟!

عندئذ؛ أدرك الفتى أنه لا جدوى من هذا الأمر، فولى منكسراً حزيناً.. وقبل أن يبتعد كثيراً؛ ناداه، وقال له بصوت خافت: إنني أحبك بلا أدنى شك، ولن أجد مثلك علماً وحلماً وتواضعاً.. وأتمنى أن يكون لدي عشرة أبناء مثلك.

فاندفع الفتى قائلاً: مادمت تراني كذلك، فزوّجني ابنتك.

تبسم، وقال: أخشى عليك من فتاة كهذه تسلب عقلك، وتقصد عليك آخرتك.

قال بصوت خائف: إن كنت تحبني حقاً، فزوّجنيها.. فزوجها له في الحال!

في أول حوار دار بينهما بعد الزواج؛ قالت له: في حياة كل محظوظ امرأة جميلة!

فرد عليها قائلاً: وكل امرأة جميلة يسكنها شيطان مريد!!

فاحتدم الجدل بينهما، وتطور النزاع وتعمق.. فهجر البيت دون رجعة، وتوجه إلى خيمته المتهاكة وسط الحقول النائية.. وهناك ألقى بنفسه على فراشه القديم، وبينما هو مستغرق في نومه؛ رأى صديقه الذي رحل عن الدنيا منذ سنين بعيدة في



فجر..

د. نصر عبد القادر - مصر

كائنات من النور..
تَرْحَمُ دربي إلى المسجد
والمآذن غارقة في ابتهاج ندي
والنجوم التي لَمَمَتْ ضَوْءَهَا..
نجمة تلو أخرى.. كَمِيسِحَةِ العابدِ
أفسحت ألقها..
للضياء الذي فاض من خافق ساجد وتسامى..
ليلمس وجه السماوات في روعة المشهدِ
فاشهدني..
لحظة القرب يا نفس في حضرة السيد وانجلي..
نشوة الوصل من نبعه السرمدي
غردي.. أنشدي.. ردي..
رفرف في مثل تلك الطيور التي
غمست ريشها في الغمام..
وطافت تسبح للبارئ الواحد
حملت في مناقيرها أحرف النور..
في فجرها الأملد
فاغتدي.. وارتي..
ثوبك اللؤلؤي..
ادخلي حومة النور..
كي تنجلي من صفا المورِد
واقنتي.. واركمي.. واسجدي
رقرق الفجر في مهجة الكون..
سر الحياة من المنبع الخالدِ
فاشهدني..
يا خيوط السنا.. آية المولدِ.

أجمل ما يرى الرائي؛ رآه مرتدياً حلّة من حلل الجنة،
ويطير به زورق في أنهار الجنة، ويده محلاة بأساور من
ذهب وفضة.. فتعلق به، وسأله:

ما هذا النعيم الذي أنت فيه؟ وما هو أفضل عمل
عملته بلغ بك هذه المنزلة؟ وكيف حال الناس في
الآخرة؟ ومن الذين التقيت بهم في جنات عدن؟ وكيف
وجدت منازل الشهداء؟ وهل رأيت آدم؟ وهل رأيت
الأنبياء والرسل؟ وهل رأيت..؟

فتبسم، وقال: لن أخبرك بشيء، حتى تخبرني عن
حالكم أنتم؟

فأراد أن يطمئنه، فقال بلغة الفخر والمباهاة:
الدنيا تطورت كثيراً كثيراً.. فقد أصبح لدينا
الإنسان الآلي، والطاقة الشمسية، ولدينا شركات
عابرة القارات، وبطاقات ذكية، وقرى ذكية،
ومترو أنفاق، وقطار طائر، وهواتف نقالة، وشبكة
إنترنت، وصحف إلكترونية، وتعليم إلكتروني،
وبنوك إلكترونية، وحكومات إلكترونية.. وظل
يسرد عليه كافة ألوان المدنية الحديثة حتى لم
يترك منها شيئاً.

نظر صاحبه إلى وجهه نظرة ثاقبة، ثم سأله سؤالاً
واحداً فقط، قال:

ولكن.. هل أنتم سعداء؟

عندئذ: تذكر الشقاء الذي لا يفارقه، واليأس الذي
يلازمه.. وتذكر الأمراض والأسقام، وتذكر القحط
والغلاء، والنصب والاحتيايل، والفساد والرشوة،
والظلم والاستعباد، وأكاذيب الساسة، ونفاق الإعلام،
وتذكر شلالات اندماء التي لا تتوقف، والجماجم التي
تتطاير هنا وهناك، و..

فانتفض من مرقده على الفور، وهرول نحو المقبرة
القديمة، وألقى بنفسه بين الموتى، وهو يقول: اسمحوا
لي بالعيش بينكم يا أسعد الناس! ■